

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة لتاريخ ٢٠٢٠/٩/٢٥ الموافق للثامن من صفر ١٤٤٢ هـ

الْحَذَرُ مِنَ الْإِفْتَاءِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

الحمدُ لله الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَقَيَّضَ لِهَذَا الدِّينِ رِجَالًا يُفْتُونَ بِعِلْمٍ فَإِذَا لَمْ يَعْلَمُوا لَمْ يُغْفَلُوا لَا أَعْلَمُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا شَيْءٌ مِثْلُهُ وَلَا شَيْءٌ يُعْجِزُهُ، لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ وَلَا يُشْبِهُهُ الْأَنَامُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ الْمُصْطَفَى وَنَبِيَّهُ الْمُجْتَبَى وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى، وَأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحَابَتِهِ الطَّيِّبِينَ وَسَلَّم.

أَمَّا بَعْدُ، فَأَوْصِي نَفْسِي وَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. اْعْلَمُوا إِخْوَةَ الْإِيمَانِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَائِلُ عَبْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَلَامِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَفُؤَادِهِ وَأَنَّ اللَّهَ سَائِلُ عَبْدَهُ عَنْ قَوْلِهِ فِي الدُّنْيَا هَذَا يَجُوزُ وَهَذَا لَا يَجُوزُ فَقَدْ قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٦﴾ أَيُّ لَا تَقُلْ قَوْلًا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَالْفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنَ الْكِبَائِرِ، رَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ لَعَنَتْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِخْوَةَ الْإِيمَانِ فَمَا مَعْنَى أَنْ يُفْتَى بِعِلْمٍ، وَأَسْمَعُوا مَعِيَ فَإِنَّ الَّذِي يُفْتَى إِذَا أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا أَوْ مُقْلِدًا فِي الْفُتْيَا لِمُجْتَهِدٍ وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ مُتَجَرِّبًا عَلَى الْفُتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ. أَمَّا الْمُجْتَهِدُ فَهُوَ مَنْ لَهُ أَهْلِيَّةُ الْاجْتِهَادِ أَيُّ مَنْ يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ بِنَاءً عَلَى صِفَاتٍ مُعَيَّنَةٍ وَشُرُوطٍ لَا بُدَّ أَنْ تَجْتَمِعَ فِيهِ، وَهِيَ لَيْسَتْ مَوْجُودَةً فِي أَغْلَبِ أَهْلِ الْعَصْرِ. وَأَمَّا مَنْ تَسَوَّرَ مَرْتَبَةً لَيْسَ أَهْلًا لَهَا فَصَارَ يُفْتَى النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، صَارَ يُفْتَى النَّاسَ عَلَى وَفْقِ هَوَاهُ فَهُوَ خَائِبٌ خَائِنٌ يَفْضَحُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ كَمَا قَالَ إِمَامُنَا الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ سَامَ بِنَفْسِهِ فَوْقَ مَا يُسَاوِي رَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قِيَمَتِهِ ٣ هـ

^١ سورة الإسراء / ٣٦.

^٢ معجم شيوخ ابن عساكر.

^٣ المجموع شرح المهذب / ١٣١.

فَيَاكُمْ وَالْفَتَوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ رِجَالًا وَنِسَاءً وَلَا تُغْفَلُوا لَا أَدْرِي فَإِنَّ لَا أَدْرِي نِصْفُ الْعِلْمِ
 وَإِنَّ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ
 خَيْرِ الْبِقَاعِ وَشَرِّهَا فَقَالَ لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ جِبْرِيلَ ثُمَّ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ بِأَنَّ خَيْرَ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ وَشَرُّ الْبِقَاعِ الْأَسْوَاقُ. وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ فِي انْتِشَارِ الْجَهْلِ
 وَالْمَفَاهِيمِ الْخَاطِئَةِ بَيْنَ النَّاسِ الْفَتَوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ وَاسْتِفْتَاءَ النَّاسِ لِجَهْلَةِ الْقَوْمِ وَأَدْعِيَاءِ الْعِلْمِ فِي
 الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الثَّابِتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ
 مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَالًا
 فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا اه فَلَمْ يَجْعَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا
 الْحَدِيثِ عُذْرًا لِلْمُفْتِي وَلَا لِلْمُسْتَفْتِي فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّهُ أَفْتَى بِجَهْلٍ وَأَمَّا الثَّانِي فَلِأَنَّهُ اسْتَفْتَى مَنْ لَا
 يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسْتَفْتَى وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ التَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَجُوزُ اسْتِفْتَاءُ غَيْرِ الْعَالِمِ الثَّقَةِ^٤ اه
 فَطَرِيقُ السَّلَامَةِ أَنْ يُجْرَزَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يُفْتَى وَأَنْ يَعْرِضَهَا عَلَى الْجَنَّةِ وَعَلَى النَّارِ.
 اللَّهُمَّ احْفَظْ عَلَيْنَا دِينَنَا الَّذِي بِهِ عِصْمَةٌ أَمْرِنَا وَاجْعَلْنَا مِنَ الْوَقَّافِينَ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْسِنْ
 خَوَاتِيمَنَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَعْبُدُهُ تَعَالَى وَنُقَدِّسُهُ وَنُجَدِّدُهُ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ،
 مَالِكُ الْمُلْكِ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ. نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ
 سُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْأَمِينِ سَيِّدِ الْأَوْلِيَيْنِ وَالْآخِرِينَ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ التَّيَّبِينَ وَالْمُرْسَلِينَ.
 وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَالِ الْبَيْتِ الطَّاهِرِينَ وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ
 وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَعَنِ الْأَيْمَةِ الْمُهْتَدِينَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدَ وَعَنِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.
 أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ أَلَا فَاتَّقَوْهُ وَاعْلَمُوا أَنَّنَا
 مَسْئُولُونَ عَمَّا نَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ

^٤ رواه البيهقي في السنن الكبرى.

^٥ رواه البخاري في صحيحه.

^٦ ذكره في مقدمة المجموع.

﴿١٨﴾. عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْفَتْوَى بَغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَقَدْ تَصِلُ بِصَاحِبِهَا إِلَى الْكُفْرِ أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهُ وَخَتَمَ لَنَا عَلَى كَامِلِ الْإِيمَانِ.

Sachez, chers frères de foi, que *Allah soubhanahou wata^ala* interroge Son esclave au Jour du jugement sur l'usage qu'il aura fait de sa parole, de son ouïe, de sa vue et de son cœur, et sur le fait d'avoir dit dans le bas monde : telle chose est permise et telle chose n'est pas permise. En effet, notre Seigneur *tabaraka wata^ala* dit dans le *Qur'an* Honoré ce qui signifie : « **Ne dis pas des choses dont tu n'as pas connaissance ; certes l'ouïe, la vue et le cœur, sur chacun d'eux l'esclave sera interrogé à leur sujet** » c'est-à-dire : ne dis pas des paroles sans science. Ainsi, donner des avis –des *fatwa*– sans science, fait partie des grands péchés. Le *Hafidh Ibnou ^Açakir*, dans *Mou^jam Chouyoukhi bni ^Açakir*, a rapporté que le Messenger de *Allah* ﷺ a dit ce qui signifie : « **Celui qui donne un avis sans science, les anges du ciel et de la Terre le maudissent.** »

S'il en est ainsi, chers frères de foi, alors, que veut dire donner un avis avec science ? Soyez bien attentifs à ce que je vous dis, celui qui donne un avis –une *fatwa*–, soit il est lui-même un savant du plus haut degré capable de déduire les jugements à partir des textes et c'est donc un *moujtahid*, soit il ne l'est pas et c'est donc un *mouqallid* qui doit se limiter aux *fatwa* d'un *moujtahid*, soit c'est quelqu'un qui ose donner des jugements sans science. Un *moujtahid*, c'est quelqu'un qui a l'aptitude à faire l'*ijtihad*, c'est-à-dire qu'il lui est permis de le faire en fonction de qualités bien précises et de conditions bien particulières qu'il lui est indispensable de réunir en lui. Or ce sont des qualités et des conditions qui ne sont pas présentes chez la majorité des gens de cette époque. Quant à celui qui prétend avoir un degré qu'il n'a jamais atteint, et qui se met à donner aux gens des jugements sans science, il se met à donner des jugements qui correspondent à son avis personnel et à ses passions, c'est quelqu'un qui va à sa perte, un traître que *Allah tabaraka wata^ala* dévoilera dans le bas monde avant l'au-delà, tout comme notre Imam *Ach-Chafi^iyy*, que *Allah* l'agrée, a dit : « *Celui qui se place lui-même au-dessus de sa propre valeur, Allah ta^ala le ramènera à sa juste valeur.* »⁸

Vous avez en la personne du Messenger de *Allah* un excellent modèle, puisque dans le *hadith*, un homme avait interrogé le Prophète ﷺ à propos du meilleur des endroits et du pire des endroits. Le Messenger a dit ce qui signifie : « **Je ne sais pas, jusqu'à ce que je demande à Jibril.** » Puis la révélation est parvenue au Messenger de *Allah* ﷺ que les meilleurs des endroits sur Terre sont les mosquées et que parmi les pires des endroits sur Terre il y a les marchés.

Parmi les causes majeures de la diffusion de l'ignorance et des mauvaises compréhensions chez les gens, il y a justement le fait de donner des *fatwa* sans science et de demander des *fatwa* aux ignorants et à ceux qui prétendent la science. Dans le *hadith sahih*, authentifié du Messenger de *Allah* ﷺ il y a ce qui signifie : « **Allah n'enlève pas la science en l'arrachant des esclaves, mais Il enlève la science en faisant mourir les savants, au point que lorsqu'il n'en restera plus aucun, les gens éliront à leur tête des ignorants qui seront interrogés et qui répondront en donnant des avis sans science,**

^٧ سورة ق / آية ١٨.

⁸ Voir le *Majmou^*, Commentaire du *Mouhadhdhab*, tome 1 page 13.

ils s'égareront ainsi et ils égareront autrui. » Le Messager de Allah ﷺ, dans ce *hadith*, n'a pas donné d'excuse à celui qui donne des avis sans science, ni à celui qui demande des avis à un ignorant. Le premier en raison du fait qu'il a donné des avis sans science ; le deuxième parce qu'il a demandé à celui qui ne mérite pas d'être interrogé. Le *Hafidh An-Nawawiyy*, que Allah lui fasse miséricorde, a dit : « *Il n'est pas permis de demander la fatwa à quelqu'un d'autre qu'à un savant digne de confiance.* » Ceci a été cité dans *Mouqaddimatou l-Majmou*[^]. La voie de la sauvegarde, c'est de se préserver d'abord nous-mêmes, avant de donner un avis de jurisprudence, et de nous rappeler que nous avons devant nous le Paradis et l'enfer. Allah ta[^]ala dit ce qui signifie : « **L'esclave ne prononce pas une parole sans que soient auprès de lui Raqib et Atid.** » Esclaves de Allah, le fait de donner un avis religieux sans science fait partie des grands péchés et risque de conduire celui qui se laisse aller à le faire à la mécréance, que Allah nous en préserve et nous accorde de terminer notre vie sur la foi complète.

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ الْعَظِيمِ فَقَالَ
 وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
 تَسْلِيمًا﴾^{٥٦}. اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا اِبْرَاهِيْمَ
 وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا اِبْرَاهِيْمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا
 اِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا اِبْرَاهِيْمَ اِنَّكَ حَمِيْدٌ مَّجِيْدٌ. اَللّٰهُمَّ اِنَّا دَعَوْنَاكَ فَاسْتَجِبْ لَنَا دُعَاؤَنَا فَاغْفِرِ اللّٰهُمَّ
 لَنَا ذُنُوْبَنَا وَاِسْرَافَنَا فِي اَمْرِنَا اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْاَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْاَمْوَاتِ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي
 الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْاٰخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا هُدًى مُّهْتَدِيْنَ غَيْرَ ضَالِّيْنَ وَلَا
 مُضِلِّيْنَ اللّٰهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَعَآمِنْ رَوْعَاتِنَا وَاكْفِنَا مَا اَهَمَّنَا وَقِنَا شَرَّ مَا نَتَخَوَّفُ اللّٰهُمَّ اجْزِ الشَّيْخَ
 عَبْدَ اللّٰهِ الْهَرَيْرِيَّ رَحْمَاتُ اللّٰهِ عَلَيْهِ عَنَّا خَيْرًا. عِبَادَ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْاِحْسَانِ وَاِيتَاءِ ذِي
 الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ. اذْكُرُوا اللّٰهَ الْعَظِيْمَ
 يُنْبِئُكُمْ وَاشْكُرُوْهُ يَزِدْكُمْ، وَاسْتَغْفِرُوْهُ يَغْفِرْ لَكُمْ وَاتَّقُوْهُ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ اَمْرِكُمْ مَخْرَجًا، وَاَقِمِ
 الصَّلَاةَ.

^{٥٦} سورة الأحزاب / ٥٦.